مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 11 عدد: 1 السنة: 2022
ص: 388 - 403 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

التمثيل المفهومي لمصطلح التداولية وتوظيفاته في مجلة الخطاب تنظيرا وتطبيقا،

Conceptual Representation of the Term Pragmatics and its Uses in Al-Khattab Magazine in Theory and Application

nadia sentouh[1] / نادية سنطوح[1]*

selma chouit[2] / د.سلمى شويط[2]

مخبر تحليل الخطاب

جامعة محمد الصديق بن يحي ،جيجل (الجزائر)،

Mohamed Seddik Ben Yahia University, Jijel (Algeria)

nadia.sentauh@univ-jijel.dz.[1] / Selmachouit18@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال: 2021/06/29	تاريخ القبول: 2021/09/19	تاريخ النشر: 2022/03/02

ملخص البحث

تعالج هذه الدراسة مصطلح التداولية وتوظيفه من خلال مقالات مجلة "الخطاب" بحثا عن تأصيلاته في حقل اللسانيات لانفتاح أنساقه خاصة، وأن المجلة قد ضمت العديد من المقالات المتعلقة بذات الموضوع إذ يهدف هذا البحث إلى توضيح تلك الإشكالات التي يصادفها الباحث في قضية مصطلح التداولية، وتداخله غير المحدود في مجالات معرفية متعددة، واكتسابه حمولات مفهومية جديدة من حقل معرفي إلى آخر، كما تهدف إلى توضيح الرؤية في هذا الانتقال الذي كان لمصطلح التداولية من اللسانيات إلى عالم النقد، وكيف تم توظيفه في مقالات مجلة الخطاب متبعين في ذلك منهج تحليلي يستغل معطيات التأصيل للمصطلح، والتعريفات في توضيح هذه الظاهرة المصطلحية معتمدين المنهج الوصفي في الجانب التطبيقي، وتوصل البحث إلى أن المصطلح قد انتقل من كونه مفهوما لسانيا بحتًا، إلى حقل النقد ووظف كإجراء تحليلي نقدي بمختلف تطوراته النظرية في العينة المدروسة من المجلة.

الكلمات المفتاح : تداولية، لسانيات، نقد، مجلة الخطاب.

Abstract :

The study deals with the term pragmatics and its use through the articles of " Al-khitab" magazine .searching its origins in the field of linguistics and its forms, since the magazine has included many articles related to it.,limited knowledge and its acquisition of new conceptual loads from one field of knowledge to another, it also aims to clarify the vision in this transition which pragmatics had from linguistics to the world of criticism,and how it was employed in "al khatab magazine",following an analytic methodology that exploits the rooting data of the

* نادية سنطوح: mina.jijel180@gmail.com

term in clarifying this terminological phenomenon Using the descriptive approach on the applied side, the research concluded that pragmatics turns to be a purely linguistics concept, and it was employed as a criticism analytical procedure with its various theoretical developments.

Keywords: pragmatics, linguistic, criticism , Al-Khattab magazine.

المقدمة :

كانت اللغة ولا تزال أداة التواصل والتباحث في العلوم، وبالأخص الإنسانية منها. وتعد من القضايا الأهم التي حظيت باهتمام الباحثين، والبؤرة المركزية التي تتمحور حولها الرؤى، إذ اتخذها الدرس اللساني الحديث مجالا للدراسة والبحث، ناهيك عن البحث القديم عند مختلف الحضارات، وفي أقدم العصور.

وعلى الرغم من انحصار بدايات الدرس الحديث للغة في جانبها الداخلي إلا أن معالم الانفتاح لم تطل، فاللغة لا يتحقق وجودها إلا من خلال الفعل الكلامي في إطار مقامي محقق لمقصد مخصوص، وهذا ما أعادته "التداولية" إلى دائرة الاهتمام، فالتداولية من أحدث الاتجاهات التي ظهرت في الدرس اللساني الحديث لتدرس الجانب الاستعمالي للغة، وتبحث في الأسس اللغوية للكلام، وما يهمنا هنا هو التداولية كمصطلح وظهوره في الحقل اللساني وتطبيقه في الحقل النقدي، على الرغم من الحقلين لهما توجه معرفي خاص وإن اشتراكا في العديد من القضايا التي يطرحها الاستخدام الإنساني للغة، لذا طرحت عدة إشكاليات متضاربة أحيانا، وإشكالات أخرى يتحتم للإجابة عنها التقاء النقد باللسانيات هذا الظهور وذلك التطبيق، ومحاولة الكشف عن طبيعة الدراسات هذا المصطلح في بعض مقالات من مجلة الخطاب لعدد من الباحثين.

فلقد مر مفهوم مصطلح التداولية بعدة مراحل قبل أن يصل إلى ما في وضعه في الدرس النقدي. بدءا بالحقل الفلسفي ثم اللساني وصولا إلى مجال الدراسات النقدية، فأدى التداخل المعرفي بين حقول الفلسفة واللسانيات والنقد إلى تنقل هذا المصطلح عبر هذه الميادين المعرفية جراء الأهمية البالغة التي يحظى بها من خلال الطرح التحليلي الذي يقوم عليه، كونه مرتكزا أساسيا لعديد المفاهيم التي هي مفاعيل المعنى والتواصل.

ولتوضيح طبيعة هذا التنقل سنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن هذه التساؤلات: كيف انتقل مصطلح التداولية من الدرس اللساني إلى التطبيق النقدي؟ ما المحطات المعرفية التي استند عليها مصطلح التداولية ليؤكد حضوره؟ ما دور الدرس اللساني في تشكل هذا المصطلح؟ وكيف كانت توظيفات الباحثين لهذا المصطلح في مجلة الخطاب*، وما أهم الدوافع التي أدت بالباحثين للتنظير أو التطبيق في مقالاتهم؟.

أولا: مفهوم التداولية:

1-لغة: ورد الجذر اللغوي(د و ل)، في معجم "لسان العرب" لابن منظور بمعنى التحول والانتقال في قوله: «الدُّولَةَ والدُّولَةَ: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدُّولَةُ بالضّم، في المال ،والدُّولَةَ بالفتح، في الحرب، وقيل ،هما سواء(...) وقال "أبو عبيدة": «بالضم اسم للشيء الذي يُتَدَاوَلُ به بعينه» (...) والدّولَة: الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء(...) وتداولنا الأمر، أخذناه بالدُّوَلِ، وقالوا دَوَليك أي مداولة على الأمر»[1] ونجد معجم "أساس البلاغة " للزمخشري لا يكاد يخرج عن نفس المعنى «دول: دالت له الدولة ودالت له الأيام بكذا أدال الله بني فلان من عدوّهم جعل الكثرة لهم عليه، وقال الدهر دول وعقب ونوب وأديل المسلمين على المشركين يوم بدر وأديل المشركين على المسلمين يوم أحد»[2] يفيد الانتقال من حال إلى حال أخرى أو من مكان إلى مكان آخر.

لو عدنا للتعاريف اللغوية في المعاجم العربية نجدها لا تخرج في دلالتها من الجذر(دولَ) على معنى التحول والتغيير والتبدل والانتقال.

2-اصطلاحا: قد تعددت تعاريف التداولية نظرا لتداخلها مع مختلف الحقول المعرفية، مما أدى إلى صعوبة وضع تعريف جامع لها، ومن جهة أخرى فإن التداولية تعد مبحثا «يقع في مفترق الطرق، حيث تلتقي اللّسانيات والمنطق والسميائيات والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع»[3]

وأول من قام بتعريفها حديثا عند الغرب "شارلز موريس" الذي يعد المؤسس الفعلي لها وعدّها جزءا من علم العلامات وأحد مكوناتها،أي« تهتم بدراسة العلامات بين مستعمليها أو مفسّريها(متكلّم، سامع، قارئ، كاتب...)، وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات»[4] ربط "موريس" مصطلح التداولية بالحقل السيميائي وجعلها جزءًا منها ودراسة العلامة سواء كانت لغوية أو غير لغوية، فلا يمكن دراسة المفردات بعيدا عن مستخدميها داخل السياق، والظروف المحيطة بالمتكلم، من أجل تحديد المعاني المراد إيصالها للمخاطب، وكذا مقاصد المتكلم التي يرمي إليها أثناء العملية التواصلية.

كما يعرفها "آن ماري دبير" وفرانسوا ريكاناتي" بأنها« دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية»[5]، ويعني توضيح القوانين التي يوضحها الاستعمال اللغوي ويجعل اللغة قُدرة خطابية تخلق المعاني المتعددة باختلاف طرق الاستعمال، وتجدر الإشارة هنا إلى أن "التداولية" تعرف على أساس المجال الذي يهتم به الباحث نفسه، فنجد تعريفا آخر من وجهة أخرى «بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه»[6] فعنيت بالمتكلم ومقاصده، وأعطت السياق أو المقام الأهمية وجعلته أساسا في الأفعال التواصلية فهي تنظر إلى« اللغة على أنّها نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد»[7]، وفي تعريف أدق وأشمل هي: «دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»[8]. يبين هذا التعريف اتساع وتشعب مجالات التداولية، ويركز على دور التداول بين المتكلم والسامع ومراعاة السياق في خلق المعنى، فالتداولية تقر بأن المعنى هو رهين التداول اللغوي، وأن المعنى ليس جوهرا قابعا في الكلمات، بل هو صناعة وتوليف ينتج فقط جراء ظروف استعمالية للغة.

وما يمكن قوله من خلال التعريفات أن التداولية درس جديد في الدراسات الحديثة تختص بدراسة اللغة في الاستعمال وعلاقتها بالسياق، وإزالة الغموض من عناصر التواصل اللغوي، دون أن تهمل المعنى وعلاقته بالسياقات الكلامية.

ثانيا: التأصيل الفلسفي لمصطلح التداولية:

من المعروف أن أغلب العلوم مدينةٌ للفلسفة في الكثير من أسسها وانطلاقاتها المعرفية، فكلما اشتغلت الفلسفة على المفاهيم المعرفية والعلمية جعلت العلم يعيد النظر في معطياته ونظرياته، والفلسفة دائمة الاشتغال على هذه المفاهيم، لذلك كان حتما أن تعتمد هذه المعارف على ما تطرحه الفلسفة من رؤى جديدة، وهذا بالضرورة ما سيجعل مصطلحات العلوم والمعارف تعتمد اعتمادا كبيرا على لغة الفلسفة ومفاهيمها، وهنا يكون المصطلح دائما ذا أصول فلسفية يختزنها، ويستلهم منها صياغته ودلالته من أجل ذلك، فمفاهيمُ مثل العقل واللغة والمعنى والتصور والدلالة مفاهيمُ لا تخلو منها معرفة إنسانية، فإن التداولية هي ابنة الفكر التي أنتجها (الغرب)، وهي في الأصل مباحث منطقية فلسفية طبقت المنهج

البراغماتي في دراستها؛ إذ يعود الفضل في ظهورها إلى الفلسفة التحليلية «التي نشأت في القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني" غوتلوبفريجة*" Gottlobfreege" (1848-1925) في كتابه (أسس علم الحساب)»[9].

وقد اهتمت الفلسفة التحليلية باللغة اهتماما بالغا، ولا يمكن أن ننكر الفضل الكبير للفلسفة في ظهور مصطلح التداولية، فمن الفلاسفة الذين أسهموا في ظهور هذا التيار الحديث "فيتغنشتان"(Wittgenstin) الذي نظر «للجانب الاستعمالي للغة بدءًا من أعماله الأولى في المنطق والفلسفة المنتهية في 1918م، حيث ميزها دراسة الوظيفة التمثيلية للغة »[10]، ومن المفاهيم التي اعتمد عليها أيضا "الألعاب اللغوية"، التي كان لها التأثير البالغ في ظهور ونشأة مصطلح التداولية.

ومن بين الأمثلة لتوضيح تصور اللعبة اللغوية « عندما أناديك ادخل من الباب" ففي جميع أحوال الحياة العادية، يبدو الإقدام على الشك بأن هناك بابا حقا ضربا من المستحيلات»[11]، كما كان الفضل للفيلسوف" أوستين"و"سيرل"، في ظهور هذا المصطلح اللساني الفلسفي خاصة، فكانا من الفلاسفة الذين بحثوا في المفاهيم والتصورات التأسيسية لهذا المصطلح، فمثلا "أوستين" تطرق إلى ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية :«العمل الأول: هو العمل القولي، وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما،وأما الثاني فهو العمل المتضمن في القول، وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما، وأما الثالث فهو عمل التأثير بالقول، وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما »[12]، ومن هذا يتضح أن منشأ التداولية منشأ فلسفي، بدأ يظهر مع أعمال الفلاسفة الذين اشتغلوا على قضية الأحداث الكلامية بحثا عن الظواهر التي تتحكم في تشكيل المعنى، وجعل اللغة وسيلة لوصف المعيش اليومي، وما هذا الأمر بمستحدث أيضا بقدر ما هو ضارب في أعماق التفكير الفلسفي.

ثالثا: التداولية واللسانيات الحديثة:

من المعلوم أن للسانيات لها الفضل في بلورة معظم المصطلحات في المجالات المعرفية الأخرى في الأدب، النقد،علم النفس، التاريخ....إلخ فمن« الحقائق التي يقرّها العصر أن المعرفة الإنسانية مدينة إليها بفضل كبير سواء في مناهج بحثها أم في تقدير حصيلتها العلمية»[13]؛ إذ أدت اللسانيات ثورة فكرية زعزعت حقول المعرفة الإنسانية، ويرجع الفضل لها في ظهور هذا المصطلح خاصة بعد معارضة الباحثين «معاملة تشومسكي للغة باعتبارها وسيلة مجردة أو قدرة ذهنية يمكن فصلها عن استخدام اللغة ومستخدميها ووظائفها»[14]، ولسوسير(F.daussur)(1857-1913) الذي أولى اهتمامه بثنائية

"اللغة" و"الكلام" والتفريق بينهما، وأعطى أهمية للغة على حساب الكلام فاللّغة «تختلف عن الكلام في أنّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة»[15]، الوضع نفسه بالنسبة لشومسكي(Chomsky)؛ الذي ميز بين الأداء والملكة، وكما هو معروف فإن الأداء الكلامي هو استعمال المتكلم للغة ضمن سياق تواصلي ما، وهو نوع من الممارسة اللغوية، وعلى هذا الأساس جاء الاتجاه التداولي للاهتمام بما أهملته اللسانيات في الجانب الاتصالي، لاسيما دراسة علاقة اللغة بمستخدميها لذلك تعد التداولية مكملة للدراسات اللسانية ونقطة التلاقي بين المجالات المعرفية المختلفة، وهنا حريّ بنا قبل تحديد صلة اللسانيات بالتداولية أن نشير أنها تلتقي بالكثير من العلوم الأخرى غير اللسانيات التي تشترك معها أحيانا في منهج البحث أو مادتها (المصطلحات، المفاهيم)، ومن بين أهم هذه العلوم نجد: علم الدلالة الذي يهتم بدراسة المعاني والقوانين التي تحكم ظواهر تشكل هذه المعاني، في حين التداولية تبحث في المعنى التواصلي للغة أي؛«تبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم**Speaker intentions**، أو هو دراسة معنى المتكلم**Speaker meaning** ، فقول القائل أنا عطشان مثلا: قد يعني أحضر لي كوبًا من الماء »[16]، وقد ركز هذا التعريف على دور التداولية في الكشف عن المعنى، ومقدرة المتكلم على إيصاله للسامع فمثلا قولي: إن حالة المريض حرجة، قد يعني: يجب أخذ المريض إلى المستشفى أو يكون تعبيرا عن تدهور حالة المريض، وبهذا جاءت التداولية بتصورات ومفاهيم كانت غائبة عن الدرس اللساني حيث أولت اهتمامها بالاستعمال اللغوي أثناء التخاطب، ودراسة كل جوانب المعنى، وهذا يؤكد الترابط الموجود بين الدلالة والتداولية في كون كل واحدة منهما تشتغل على المعنى، أما بالنسبة لصلة التداولية باللسانيات نجد معظم الباحثين في دراساتهم يؤكدون ذلك فهي: «الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل»[17]؛ إذ الملاحظ أن المادة التي تهتم بها كل من التداولية واللسانيات وتشتغلان عليها هي اللغة، فالتداولية تشابه اللسانيات في الكثير من مبادئها وإجراءاتها كونها تخصص لساني ظهر حديثا. ومن الفلاسفة اللغويين المحدثين الذين بينوا الترابط بين التداولية واللسانيات (رادلفكارناب) يقول بأن «التداولية قاعدة اللسانيات، أو أساسها المتين الذي تستند إليه، أي أنها حاضرة في كل تحليل لغوي، موجودة معها قرينة لها»[18].

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ مصطلح التداولية يشتمل على بعد لساني باعتباره يبحث في قضية المقاصد التي تتولد في كلام المتكلم، والتي تتشكل جراء طرق استعمال خاصة للغة، ووجود سياق أو

مقام يعملان على خلق هذه المقاصد التي يود المتكلم أن تبلغ السامع، وهذه القضية من المحتم أنها تجد في الدرس اللساني ركيزتها الأولى، بالإضافة إلى التداولية التي تعتبر موضوعها الأساس.

رابعا: التطبيق النقدي للمصطلح في مجلة الخطاب:

بعد الرحلة التي خاضها مصطلح التداولية، وبعد اشتغال الدارسين على مفاهيمه الأولى، والمفاهيم اللاحقة التي تداخلت فيما بينها، استطاع أن يؤسس مجاله الخاص باعتباره مادة إجرائية جديدة في مجال النقد، وصارت التداولية ممارسة إجرائية في مجال النقد والأدب، يعتمده الدارسون كمنهج في الدراسة، له قواعده وأسسه ومقوماته. وذلك في كل دراسة تهتم بتفاصيل الممارسة اللغوية ومقاصد الكلام في سياق تواصلي ما.

فقد تحول مصطلح التداولية من حقل الدراسة اللغوية أو اللسانية إلى النقد من خلال تحليلاته التطبيقية فأصبح موضوعه تحليل النصوص والخطابات، فهي كمنهج تحاول الاهتمام بالمتكلم ومقاصده والظروف المحيطة بالنص الأدبي ومرجعياته (الفلسفية، الثقافية،....)، إذ أن النص «يمتلك كامل عناصر التداولية، والتي تسمح مقاربتها بإحاطة دقيقة بمكونات النص الأدبي»[19]، فهي تهتم بالعلامات اللغوية الموجودة في الخطاب، ومن ثمة ما يجمعهما «العلامة واللغة بوصفهما وسيطا للتواصل والتفاعل. يكتب دانيال بيرجيز danielbergez "يستدعي العمل الأدبي المنتسب إلى عالم اللغة، وبشكل طبيعي، الخطاب الذي يضفي عليه شرعية، ويشرحه ويوضحه»[20] ، أي أن ما يمنح الأدب والتداولية وجودهما، ويمنحهما اشتغالهما كفعل رمزي وممارسة لغوية هي الوسيط الدال؛ بمعنى أن اللغة والعلامة يشتركان في الأداة وفي الموضوع، فالعلامة واللغة أداة بالنسبة للنص، وهي موضوع بالنسبة للتداولية.

وقد برز هذا المصطلح في الساحة النقدية العربية بروزا واضحا من خلال دراسات عديدة قام بها الباحثون نجدها مبثوثة في الكتب والبحوث الأكاديمية، والمجلات، "نظريا" و "تطبيقيا"؛ سنحاول على سبيل المثال لا الحصر تقديم صورة عن توظيف المصطلح في بعض المقالات من مجلة "الخطاب" لتيزي وزو" في الجدول التالي:

عنوان المقال (الدراسة)	عدد المجلة
التحليل التداولي للخطاب السياسي أ.ذهبية حمو الحاج	العدد01
الوظائف التداولية للجملة الاعتراضية في الخطاب الأدبي.أ.كاهنةدحمون	العدد02

مقاربة تداولية لحكمة عطائية د.عز الدين الناجح	العدد03
دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم –مقاربة تداولية– أ.بوقررومة حكيمة	العدد03
التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي. د.حمو الحاج ذهبية	العدد04

من خلال الاطلاع على هذه المقالات الخمس على أربعة أعداد يمكن تقديم جملة من الملاحظات أولا قبل البدء في تقديم قراءة تحليلية لتوظيف المصطلح :

أ- نشير إلى أن مجلة "الخطاب" ضمت مختلف الدراسات اللسانية الأدبية والنقدية، إلا أنّها غلّبت الاهتمام بالمصطلح التداولي الوارد في أعداد المجلة من خلال المقالات التي قام بها المساهمون، ونحن هنا اقتصرنا على بعضها.

ب- والملاحظ أيضا توظيفه كإجراء نقدي على مدوناتهم ونصوص وكتابات تراثية كانت أم معاصرة، أي تنوع المدونات التي أجري عليها التطبيق.

ج- فيما يخص طبيعة الدراسات نجد المزاوجة بين التنظير للمصطلح، واستخدامه كتطبيق نقدي، وكذا اختلاف تناول المصطلح من طرف المطبقين عليه.

خامسا: مصطلح التداولية في مقالات مجلة الخطاب:

1- المقال الأول:

الموسوم ب" التحليل التداولي للخطاب السياسي" للباحثة "ذهبية حمو الحاج"، حيث تبدأ مقالتها بإعطاء لمحة موجزة عن أهم النظريات اللسانية القديمة والحديثة التي لا يمكن إغفالها لكون كل نظرية مكملة للأخرى، كما أشارت الباحثة إلى أن ما جاء به سوسير F.daussur جعله مركز اهتمام كل العلوم الإنسانية، وصولا إلى مصطلح التداولية الذي نشأ في إطار اللسانيات المرتكز الذي تعتمد عليه معظم المصطلحات والنظريات، وأنّ "شارل موريس" هو أول من تحدث عن هذا المصطلح الغربي المنشأ، بالإضافة إلى جذوره الفلسفية، كما أشارت أيضا إلى إسقاطاته في الدرس العربي الحديث بمعنى حاولت الباحثة التأصيل للمصطلح اصطلاحا في العصر الحديث عند "طه عبد الرحمن" الذي ترجم مصطلحPragmatiques بالتداوليات «لأنه يوفي المطلوب حقه ،باعتبار دلالته على معنيي "الاستعمال" و"التفاعل" معا .ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في

أبحاثهم»[21] ، فالتداولية برأيها عند طه هي «الممارسة والتفاعل، ممارسة اللغة والتفاعل مع الآخرين فامتلاك المخاطب للغة وتأديته لها يسمح بإقامة علاقات مع الغير ولكن دون الوقوف عند وظيفة الإبلاغ، فباللغة يمكن المناقشة، الاستفهام ،الإثبات، الإعلان... لتخرج اللغة بهذا الاعتبار عن قصدية التواصل.....»[22]. عرضت الباحثة الجانب التنظيري للمصطلح، وما ينضوي تحته فكانت الدراسة مركزة على آليات ومبادئ التحليل اللساني التداولي؛ إذ اهتمت بالمفاهيم التداولية في الخطاب السياسي باعتباره خطاب كغيره من الخطابات الأدبية، والتحدث على الجانب التواصلي للغة الخطاب في الاستعمال الجانب المهمل من طرف اللسانيات البنيوية التي اهتمت فقط بالبنية اللغوية، وتشكلاتها المتعددة مركزة على أهم آليات المنهج التداولي التي يمكن إخضاعها للخطاب السياسي، ومن بين المفاهيم والقضايا التي تناولتها: المفهوم التداولي "متضمنات القول"؛ ويعني أنّه لابد من المستمع أن يكون على علم بقوانين الخطاب الصريحة والخفية، وفهم قواعدها حتى نتمكن من معرفة الكلام غير المصرح به من طرف الشخص الذي يوجه له الخطاب، ومن المفاهيم التي تناولتها أيضا؛ الافتراض المسبق، التفاعل والسياق، الأقوال المضمرة، وبالرغم من اتساع موضوعات التداولية وآلياتها اقتصرت الباحثة على بعضها.

يمكن القول أن الباحثة وظفت المصطلح توظيفا معرفيا، وذلك باستيعاب مرجعياته اللسانية في تطبيقها النقدي لهذا المصطلح، وجاء بحثها نظريا، وذلك بإعطاء أهم الآليات التي لابد من توظيفها في تحليل الخطاب السياسي، ولكثرة المفاهيم التداولية اقتصرت الباحثة بإعطاء إشارات سريعة عنها، فكان هدفها الأول هو شرح هذه المبادئ لتحسين الفهم، والتمكن من مبادئها أثناء تحليل الخطابات السياسية، ولمساعدة القارئ على امتلاك هذه آليات، وفقت الباحثة في مقالتها إلا أنه كان من الأجدر تطبيق هذا البحث على مدونة معينة.

2-المقال الثاني:

ويتمثل موضوع هذه المقالة في دراسة "الوظائف التداولية للجملة الاعتراضية في الخطاب الأدبي"، ومن المعروف أن البحث اللساني متعدد النظريات؛ إذ أسهم الباحثون في تطويرها وإغنائها من جهة، وتطبيق هذه النظريات من جهة أخرى، ولعل من أبرزها الاتجاه البنيوي والتوليدي والاتجاه الوظيفي هذا الأخير الاتجاه الذي تحدثت عنه الباحثة في مقالها، وبالتحديد النحو الوظيفي الذي يمتاز«على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره؛ فهو محاولة تصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية (النحو العلاقي) Relationalgrammar) ونظريات فلسفية، نظرية أفعال اللغوية

(Seepchactstheory) (خاصة) أثبت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث»[23] فالهدف من هذه النظرية هو جعل اللغة مرتبطة بوظيفتها، ودراستها تركيبيا ودلاليا وتداوليا، ولا يمكن فهمها بعيدا عن الاستعمال، والأكيد أنها نظرية لسانية غربية الأصل نقلها "أحمد المتوكل" للوطن العربي محاولا تطبيقها على اللغة العربية، فاستعانت بها الباحثة في مقالتها وقامت بتقديم الوظائف قبل معالجتها في إطار تطبيقي، وبناء على ما جاء في المقالة اشتغلت الباحثة على مدونتين لتوضيح الوظائف التي تحملها "الجمل" الاعتراضية من منظور تداولي، حيث وظفتها بإعطاء أمثلة من الجمل الاعتراضية عند "التوحيدي" في تحديد أدوارها التداولية المختلفة من حيث شكلها(البنية) ومعناها(الدلالة)، كما أشارت إلى هيمنة المصطلح التداولي "الذيل" في رواية "مرايا متشظية" لعبد المالك مرتاض، فجاءت مقالتها تطبيقية حيث استخدمت مدونتين في دراستها مدونة تراثية والأخرى حديثة، وهذا يحيل على تمكنها من هذه الوظائف، وذلك بتوظيفها ومعالجتها للمصطح كإجراء على مدونتين مختلفتين، والإحاطة بالوظائف التداولية الواردة في المدونتين، واستخراج كل الجمل الاعتراضية الموجودة فيهما، ما دّل على استيعاب الباحثة لآليات المصطلح وإجراءاته، ووصولها إلى غايتها في مقالها ظاهر كونها اتجهت اتجاها تداولياً في تحليلها.

-المقال الثالث:

تتناول الباحثة في دراستها الموسومة ب "دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم –مقاربة تداولية-" مصطلح الفعل الكلامي الذي يعد من أهم مبادئ المجال الفلسفي قبل أن ينتقل للبحث التداولي، وقد كان مصطلح التداولية مرادفا له في بداياته، حيث ركزت المقالة على "أفعال الكلام" الذي «يعني لغة ما أو التحدّث بما يعني تحقيق أفعال لغوية»[24] ؛ بمعنى دراسة اللغة وما تحدثه من تأثير وتبليغ أثناء تحدث المتكلم، فعمدت الباحثة إلى إسقاط مصطلح "الفعل الكلامي" على الخطاب القرآني وتعريفه بصفة عامة، بالإضافة إلى التأسيس الفعلي لهذا المصطلح عند الغربيين، وبعد ذلك انتقلت للتطبيق مباشرة؛ حيث قسمت الباحثة الخطاب القرآني لقسمين هما الفعل الكلامي المباشر والفعل الكلامي غير المباشر، وجاء تعريفها للفعل الكلامي المباشر على أنّه: «يستعمل المخاطب الفعل الكلامي المباشر عندما يولي عنايته لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، ورغبته في أن يكلّف المتلقّي بعمل ما، أو يوجهه لمصلحته من جهة، وإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو توجيهه لفعل مستقبلي معيّن»[25] ، وطبقته على الخطاب القرآني، وتشير الباحثة إلى أنّ الأفعال الكلامية المباشرة متعددة ومتداخلة في النص القرآني هذا ما

أدى إلى سيطرة ضمير المخاطب لما يمتلكه من قوة التأثير على المتلقي، ولم تقتصر في تطبيقها على الأفعال المباشرة فقط، بل تناولت أيضا الأفعال غير المباشرة، وهي بذلك اشتغلت وفق مقاربة تداولية للكشف عن مقاصده من منظور تداولي لدراسة الفعل الكلامي كون النص القرآني يعج بتعدد المخاطبين فيه، بِعده أعلى المراتب الكلامية بلاغة، وهذا يؤكد أن الباحثة وظفت المصطلح كإجراء تطبيقي على الخطاب القرآني، فوصلت الباحثة لغايتها في محاولة إعطاء نظرة جديدة لتحليل الخطاب القرآني من منظور تداولي باستثمارها المفهوم التداولي "الفعل الكلامي"، فهي بهذا طبقت آلية تداولية في دراستها سعت من خلالها لتحليل الخطاب بأنواعه الأفعال المباشرة وغير المباشرة، فتنوعت إذن دراسة الباحثة ووفقت في تناولها وتوظيفها؛ إذ بحثت فيها عن دلالات ومقاصد الخطاب باتخاذها نهجا تداوليا في تحليها ورؤيتها ورصد كل الأفعال الكلامية.

4-المقال الرابع :

الموسومة ب"مقاربة تداولية لحكمة عطائية" للباحث "عز الدين الناجح"، تطرق في هذه المقالة لمفاهيم لسانية والتفريق بينها كاللسانيات التلّفظية" و"اللسانيات الخطابيّة"، ومحاولته رصد أوجه التباين، وهذا يدل على تطرق الباحث للجانب النظري قبل أن يشتغل على الآليات التداولية التي جعلت من دراسته دراسة تطبيقية؛ إذ يمكن القول أن مجموعة المصطلحات التي طرحها الباحث في مقاله ارتكزت على المصطلحات التداولية حيث قام بالتنظير لمصطلحي "الخطاب" و"الملفوظ" ممحّص في مفهوم الملفوظ والخطاب نظرا للإشكال الحاصل بينهما، فتوصل إلى أنّ التعريفات الخاصة بالخطاب تتنوع وتتعدد كل وتخصصه فمصطلح الخطاب اختلف تعريفة لكون كل تعريف ينتمي لمجال معين، بالنسبة لمصطلح الملفوظ أشار أنّه ليس مجرد حدث تلفظي، وإنّما ارتبط بمصطلح الخطاب، وقد حاول الباحث التوفيق في ضبط مصطلح الخطاب والملفوظ، أما بالنسبة لمصطلح التداولية لم يعرفه، وإنما وظفه معرفيا كإجراء على الخطاب حيث طبق المبادئ والاستراتيجيات على الحكم العطائية التي اعتبرها ملافيظ، ولكن بعد أن طبق عليها الاجراءات التداولية، وبالخصوص المقاربة الحجاجية التي وضحت أنّ الحكم ذات طبيعة حجاجية، وصل الباحث لغايته وهدفه بتقديم رؤية جديدة، وذلك بدراسة الحكم العطائية من زاوية تداولية خصوصا لما يتجلى من خصائص تداولية فيها، وبالأخص المفهوم التداولي "الحجاج" الذي كان حضوره طاغي على الحكم، بالرغم من تعدد الآليات التداولية سلطّ الضوء وركزّ على هذه الآلية، فقد وفق في تحليله وتطبيقه لهذا الإجراء، فرصد كل الحجج الموجودة في الحكم وتحليلها، فكان من الممكن أن يتناول بقية المفاهيم

لتحليل الحكم لكن اقتصر على مفهوم تداولي واحد، ويتضح أنّ هذه الدراسة تندرج ضمن العمل التطبيقي، كون الباحث أصل لمفاهيمه ونتائجه من خلال مدونة تراثية.

5-المقال الخامس:

تقوم دراسة الباحثة "حمو الحاج ذهبية" التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي"، على استخدام مصطلحات التعدد الصوتي في تحليل السخرية من منظور تداولي، بدايةً وقفت الباحثة على مصطلحين هما :"تعدد الأصوات" و"السخرية" والربط بينهما، فالسخرية حسبها «شكل من أشكال التواصل تسمح بإيصال ما يريده الإنسان في صيغ المزاح الذي يقدم له شرعية قول ما يقول، وإذا حكم عليه بالإيذاء، فإنه يحتمي بغير المقول، وهو ما تبلوه النظرية التداولية الحديثة في القول المضمر»[26] أما مصطلح تعدد الأصوات الذي يقصد به تعدد الأشخاص أثناء العملية التواصلية والتخاطبية، وهذا ما جعلها تبحث «عن المتكلم الحقيقي المسؤول عن الكلام أو الأقوال»[27] الموجودة في الخطابات الأدبية فاشتغلت الباحثة على مسألتين مهمتين هما: البحث عن كيفية حدوث السخرية كونها نشاط تواصلي لها آلياتها التي تتحكم فيها أولا، والوقوف على قوانينها وغاياتها ثانيا، تنوعت قراءات الباحثة لمصطلح السخرية بين تنظير وبين تحليل لمقولات الباحثين، فكانت مقالتها بحث في الأصوات المتعددة للشخوص في العملية التخاطبية من خلال السخرية التي تجعل من عملية التواصل بين المتخاطبين عملية ناجحة لها مقصد معين، إذ توصلت الباحثة لغايتها باستثمار المنظور التداولي على النحو الذي يؤكد الإخلاص التام لآليات هذا المصطلح، ورصدت الأصوات المتعددة الموجودة في العملية التواصلية من خلال السخرية، فحاولت البحث عن المتكلم المسؤول عن الكلام بواسطة تشغيل آليات التداولية للوصول إلى عملية تواصلية ناجحة بين المرسل والمرسل إليه متطرقة إلى أمثلة عملية واضحة.

إذن يمكن القول أن معظم الباحثين تناولوا أهم القضايا المهتمة بمصطلح "التداولية" كإجراء نقدي في مجلة "الخطاب"، حيث وظف الكتاب آلياتها وأسسها في دراساتهم للخطابات بإسقاط المفاهيم والنظريات حيز التطبيق.

انطلاقا من هذا يتضح البعد النقدي للمصطح، حيث تم تداوله وتوظيفه في الكثير من الأبحاث الأكاديمية، وهذا راجع إلى الأهمية التي تحتلها قضية المقاصد الكلامية، وتشكل المعنى الإبداعي في النصوص، والتي هي أساس الدراسة التداولية ف«اليوم هي مقاربة من مقاربات النّص الأدبي ...لها أفق داخليّ تُضطرّ سائر المقاربات إلى الانخراط فيه»[28] ،وقد جاءت لإخراج البنيوية من الانغلاق الذي فرضته

على دراسة النصوص وجعلت «رؤية الشعرية تتحول من الوقوف على الخصائص البنيوية إلى الوقوف على عناصر التواصل التي تأخذ المنشئ والمتلقي وظروف الإنتاج وملابسات التلقي في حسابها»[29].

وبناء على ما سبق، اتضح لنا أن مصطلح التداولية هو ارتحال مفاهيمي، بدأ مع الممارسات اللغوية القديمة الأولى، دون وعي بتحديداته النظرية الحديثة، إلا أنه مع اللسانيات الحديثة بدأت ملامح هذه المقاربة بالتشكل، وذلك بدءًا بالصياغة المصطلحية والمفهومية لها، والتي بدأت بوادرها تظهر من خلال المفاهيم المفصلة التي ميزت بينها اللسانيات فيما يخص اللغة والكلام والدال والعلامة اللغوية والنسق وغيرها من المفاهيم الجديدة الأخرى. وانطلاقا من هذا بدأ حقل مفاهيمي خاص ينشأ، اهتم بالممارسات اللغوية ووظائف الكلام ومقاصده، وأعاد الاعتبار لما قد تم نسيانه مع الدراسات النسقية التي اهتمت بالبنيات الداخلية للنصوص، غير آبهة بالمتكلم والكاتب ومقاصدهما. إلى أن غدت التداولية إجراءً نقديا له مقوماته وأسسه، وأصبحت مقاربة للنصوص الإبداعية والدينية وغيرها.

خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول أننا قد تتبعنا الرحلة الإجرائية لمصطلح التداولية، باعتباره مصطلحا انتقل من الساحة الفلسفية إلى ساحة اللسانيات ومن ثم إلى النقد، وباعتباره مصطلحا يختزن طاقة مفهومية تشع في كل هذه المعارف السابقة، حيث اكتسب هذا المصطلح الجدير بالدراسة والتحليل مبادئ خاصة به في حقل اللسانيات الذي جاء به العالم دي سوسير، وافتتحَ بمحاضراته آفاقا واسعة في مختلف المعارف، وكان لمصطلح التداولية فرصة الارتحال المعرفي بين التخصصات، من بينها الفلسفة واللسانيات والنقد، وذلك لأهمية ما يشتغل عليه، ألا وهو المعنى وتشكل القصد الكلامي، كما عالجنا المقالات الموجودة في مجلة الخطاب المتعلقة بهذا المصطلح، وما يتعلق به إذ أخذ مصطلح "التداولية" اهتماما واسعا من قبل الباحثين، وتلمسنا حضوره بقوة في بعض دراسات الباحثين.

فقد توصلنا إلى بعض النتائج أهمها :

-تعدد المجالات المعرفية في استخدام المصطلح الواحد يؤدي إلى غموض مفهومه، وصعوبة تحديده.

-يعد مصطلح التداولية من بين أهم المصطلحات التي اعتمدها الفلاسفة واللغويون وهم يعالجون مشكل المعنى.

-انتقال مصطلح التداولية إلى النقد كان حاجة معرفية حتمية، بعدما لوحظ إهمال اللسانيات للجانب الاستعمالي في لغة(السياق – الظروف الكلامية ..).

-التداخل المصطلحي بين اللسانيات والنقد، لاشتغالهما على نفس مواضيع المعرفة (اللغة-المعنى- النص ..) جعل مصطلح التداولية أيضا ينتقل إلى مجال النقد باعتباره ممارسة إجرائية على النصوص والخطابات، الإبداعية منها وغير الإبداعية .

-مع اللسانيات كانت التداولية دراسة للغة؛ أي دراسة الجمل للبحث في المقاصد التي تتشكل أثناء الاستخدام الفعلي للغة، أي الكلام، والبحث في السياقات والظروف الكلامية. أما مع النقد فقد كانت التداولية ممارسة قرائية للنصوص والخطابات، تبحث في طبيعة السلوكات الكلامية التي يتبناها كل من المتكلم والمتلقي؛ أي طبيعة السلوك الذي يعتمده المخاطِب أثناء إنتاج الخطاب والذي يعتمده المتلقي أثناء الفهم و التأويل.

-تعرض الكثير من الدارسين في مجلة "الخطاب" لمصطلح التداولية بالدراسة والتحليل في مؤلفات كثيرة ونظروا له، كما عملوا على تحليل النصوص والخطابات تحليلا تداوليّا.

-توصلنا إلى أن التناول التطبيقي هو الطاغي على التناول النظري فيما يخص مصطلح التداولية وما يتعلق به في هذه العينة من المقالات، وهذا راجع لعدة دوافع منها الدافع المعرفي حيث يحتاج الدّارس لإشباع رغبته المعرفية ،أو الدافع الأكاديمي وهذا راجع إلى طبيعة العمل الأكاديمي والمؤسساتي في الجامعات ،ومراكز البحث، والذي يسعى إلى الدراسات التطبيقية، بالإضافة إلى الدافع الموضوعي ونقصد به طبيعة عنوان المجلة ونوعية المواضيع التي تندرج ضمن تخصصاتها المطروحة للبحث والعمل، وكذلك الدافع الذاتي أي الرغبة التي تتحكم في الباحث والدّرس؛ فهناك من تسعفه ملكاته في التنظير والآخر في التطبيق.

هوامش:

*مجلة جامعية محكمة نصف سنوية، تصدر عن مخبر تحليل الخطاب لجامعة مولود معمري –الجزائر-، وقد صدر عددها الأول(1) سنة2006، تهتم المجلة بمختلف الدراسات الأدبية واللسانية، وقضايا متعلقة بتحليل الخطاب، هدفها التنوع في المضامين لمواكبة الركب المعرفي الحاصل.

[1]أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، لبنان، مج2، ص327-328.

[2]أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، (1988)منشورات محمد علي بيوض، دار الكتاب العلمية، ط1، لبنان، ج1، ص303. مادة (دول).

[3]آيت أوشان علي: السياق والنّص الشعري: من البنية إلى القراءة، (2000)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص57.

[4]خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي(2012)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، ، ص67.

[5]فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش (1986) ، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، دط، ص3.

[6]مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، (2005)، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، ص15.

[7]بلخير عمر : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، (2003)، منشورات الاختلاف، ط1، ص8.

[8]الجيلاني دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، (2002)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص1.

[9] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص18.

[10]خليفة بوجادي: في اللسانيات التداوليةص51.

[11]الجيلاني دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص19.

[12]آن ربول وجاك موشلار:التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، (2003)محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 ، لبنان، ، ص53.

[13]عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، (1985)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص31.

[14] محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، (2003)، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط3، ، ص77.

[15]فردينان دي سوسير (1985): علم اللغة العام، تر : يوئيل يوسف عزيز، مراجعة : مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، دط، ص33.

[16]محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (2002)، دار المعرفة الجديدة، مصر، ص12.

[17]فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، (2007)، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، ، ص19.

[18]أحمدحسن كنون: التداولية بين النظرية و التطبيق، (2015)، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، ، ص45.

[19]فرانسوازأرمنيكو، المقاربة التداولية، تر:سعيد علوش، ص6.

[20]إلفي بولان: المقاربة التداولية للأدب ، تر: محمد تنفو ، ليلى أحميانى، (2018)، رؤية للنشر والتوزيع، ط1 ، ص

[21]نعمان بوقرة :محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة مختار باجي ، (الجزائر) ، 2006 ص174.

[22]ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، (2006) مجلة، الخطاب، تيزي وزو، العدد1، ماي، ص237.

[23]أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الصفاء، المغرب ، ط1 ، 1985، ص9

[24]بوقرومة حكيمة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم –مقاربة تداوليّة–، (2008)، مجلة الخطاب، العدد 3، ماي ص11

[25]حكيمة بوقرومة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم –مقاربة تداوليّة–، ص11–12.

[26]ذهبية حمو الحاج:ا لتعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، ص255.

[27]ذهبية حمو الحاج: التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، (2009)، مجلة الخطاب تيزي وزو العدد4، جانفي، ص246.

[28].فيلب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص197.

[29]عيد بلبع: التداولية "البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، (2009)، بلنسية للنشر والتوزيع ، مصر، ط1، ص401.